ما تقوله الرسالة إلى أهل كولوسي ٢: ١١-١٣ عن

المعمودية كختان روحي

تأليف: دڤيد روپر

قبل أن نناقش ما ورد في الرسالة إلى أهل كولوسي ٢: ١١-١٣ وهو مقطع عن المعمودية، لنلاحظ أولاً قصد بولس من كتابة هذه الرسالة إلى أهل كولوسي. الموضوع الرئيسي الذي وضع عليه التشديد في هذه الرسالة هو عظمة يسوع. لقد صور يسوع على انه الحل لاحتياجات الإنسان الشديدة، وشدد على انه في يسوع نجد الفداء، أي غفران الخطايا (كولوسي ١: ١٤). معرفتنا لصفات يسوع (كولوسي ١: ١٥-١٨) يجب أن تجعلنا نثق فيه.

صرح بولس بان المسيحيين منقذين من الظلمة إلى ملكوت ابن الله (كولوسي ١: ١٣). يدل هذا على انه في وقت كتابة هذه الرسالة: (١) كان يسوع ملكاً، (٢) كانت مملكته في حيز الوجود، (٣) كان الغفران متاح، (٤) كان الناس يدخلون مملكته /ملكوته. عندما ظهر يسوع لشاول (بولس) قال له بانه سيرسله إلى الأمم « {ليفتح} عيونهم كي يرجعوا من الظُلُمات إلى النور ومن سلطان الشيطان إلى الله حتى ينالوا بالإيمان بي غفران الخطايا ونصيباً مع القديسين » (أعمال ٢٦: ١٨). الذين نُقلوا من الظُلُمات إلى النور هم الذين غُفرت لهم خطاياهم وهم في ملكوت يسوع.

لنا فداء في يسوع، أي غفران الخطايا (كولوسي ١: ١٤). يمكن لدم يسوع أن يصلح علاقتنا المنقطعة مع الله (١: ٢٠-٢٢).

وأيضاً يسوع عظيم لأنه هو صورة الله (١: ١٥)؛ بكر الخليقة (١: ١٥)؛ خالق كل الأشياء (١: ١٦)؛ قبل كل شيء (١: ١٧)؛ به يدوم كل شيء (١: ١٧)؛ رأس الجسد، أي الكنيسة (١: ١٨)؛ بكر من الأموات (١: ١٨)؛ له المقام الأول في كل شيء (١: ١٨).

قدم بولس هذه الحقائق الأساسية عن يسوع لكي يبيِّن أنه لا ينبغي أن نسمح لأي شخص بان يضللنا من ربنا (٢: ٤ و٨). يوجد في يسوع ما يلي: جميع كنوز الحكمة والمعرفة (٢: ٣)؛ كل ملء اللاهوت {أي الله بكل ملئه} جسدياً (٢: ٩)، القدرة على جعلنا مملوئين {أي مكملين} (٢: ١٠)، وختان المسيح الذي يمحي خطايانا عندما نعتمد (٢: ١١-١٣). يجب أن تعطينا هذه الحقائق أسباباً لنثق في يسوع وتجعلنا نرفض تعاليم الناس وممارسات وفرائض الناموس (٢: ٨ ، ١٤-١٧).

إن لم يكن لنا يسوع، نكون بلا رجاء وبلا إله؛ ولكن إن كنا فيه فقد صرنا قريبين بدمه. تقول الرسالة إلى أهل أفسس ٢: ١٣: « ولكن الآن في المسيح يسوع أنتم الذين كنتم قبلاً بعيدين صرتم قريبين بدم المسيح ».

رجاء المجد هو أن نكون في المسيح وهو فينا (كولوسي ١: ٢٧). نحن متحررين فيه من هيمنة الشهوات الجسدية وجُعلنا أحياء روحياً وغُفرت لنا كل التعديات (كولوسي ٢: ١١-١٣).

في الأصحاح الثاني استمر بولس يناشد المسيحيين في كولوسي أن يكونوا أمناء للمسيح. قال لهم بانهم ينتمون إلى المسيح، لأنهم نالوا منه ختان روحي. ما هو هذا الختان الروحي؟

المعمودية هي كالختان

> « وبه أيضاً ختنتم ختاناً غير مصنوع بيد بخلع جسم خطايا البشرية بختان المسيح » (كولوسي ٢: ١١).

قطع الله عهداً مع إبرهيم ونسله بانه سيكون إلاههم إذا اختتنوا كعلامة العهد (تكوين ١٧: ٧-١١). وكل ولد لم يُختتن يجب أن يُقطع من شعبه (تكوين ١٧: ١٤).

قارن بولس الختان مع المعمودية بالمفهوم

الروحي: كما كان يجب إزالة لحم الغرلة من الطفل عند الختان، هكذا أيضاً يجب إزالة شهوات الخطيئة من قلب المسيحي. بمقارنة المعمودية بالختان علم بولس أن الختان الروحي يحدث عند المعمودية. عند المعمودية يُختتن الشخص روحياً وذلك بخلع شهواته وأعماله الجسدية (كولوسي ٢: ١١).

الكلمة «خلع» (اليونانية: أپكدوسيس ἀπέκδυσις) «تدل على وضع حداً للحياة الماضية، مع أن المجاز هنا يرمز إلى التعري والتجريد من الملابس غير المرغوب فيها» (مقتبس من رالف مارتن). الختان الموصوف هنا هو ختان «غير مصنوع بيد، أي هو كله عمل الله... يشدد بولس على أن عمل الله هو الذي يُختبر عند المعمودية» (مقتبس من رالف مارتن). توجد عبارة مشابهة في إنجيل مرقس ١٤: ٥٨ و ٢ كورنثوس ٥: ١).

«جسد الخطايا البشرية» قد تعني أيضاً «جسد الخطية» (رومية ٦: ٦) و«جسد هذا الموت» (رومية ٧: ٢٤). ليس الجسد البشري شرير – كما هو واضح في الحقيقة أن يسوع جاء في الجسد (يوحنا ١: ١٤؛ رومية ١: ٣) – ولكن الخطيئة بواسطته تغرينا. قصد بولس بالكلمة «جسد» الأهواء البشرية التي بها تغرينا الأشياء الشريرة (غلاطية ٥: ٢٤). هذه الأهواء للأشياء الجسدية هي بمفهوم ما قد أزيلت من الذين شاركوا روحياً في المعمودية.

العلاقة بين الختان (كولوسي ٢: ١١) والمعمودية (٢: ١٢) واضحة. ما كان يتوسل إليه بولس فكرياً هو أن ختان المسيح يتم في المعمودية.

قال ماراي هاريس: «ختان القلب هذا يحدث في وقت معموديتك، عندما أُقمت معه روحياً بإيمانك في عمل الله القوي، الله الذي أظهر تلك القوة بإقامة يسوع من الأموات».

معنى المعمودية

«مدفونين معه في المعمودية التي فيها أقمتم أيضاً معه بإيمان عمل الله الذي أقامه من الأموات» (كولوسي ٢: ١٢).

ما قُصد بالـ«معمودية» في الرسالة إلى أهل كولوسي يمكن النظر اليها بعدة طرق:

(١) ظن البعض بان بولس كان يشير إلى معمودية الروح (وليس إلى معمودية الماء)، ولكن لا يمكن أن يكون الأمر هكذا. بما يختص بالإشارات إلى المعمودية استخلص ألبرجت أوپكي: «إشارات العهد الجديد إلى المعمودية يجب اعتبارها معمودية الماء إن لم يوضح النص غير ذلك. تعني المعمودية تكنيكياً الاعتماد في الماء. ليس من الضرورة تحديد الوسيلة».

الجزء الروحي في الخلاص هو عمل الله في خلع جسد الخطيئة وغفران الخطيئة. الجزء الذي نقوم به هو الاعتماد كإستجابة الإيمان بما يعمله الله.

(٢) قال البعض أن بولس كان يشير إلى معمودية رمزية بدلاً من معمودية {بالمعنى} الحرفي، ولكن هذا ليس صحيحاً. لو كانت النصوص الأخرى في الكتاب المقدس تعتبر المعمودية {شيء} رمزي فقط، يكون لمثل هذه الخلاصة صحة؛ ولكن الروايات الأخرى تشير إلى أن المعمودية هي عمل مادي تشمل على الماء (متى ٣: ١٣–١٧؛ أعمال ٨: ٣٥–٣٩).

(٣) بفكرة أخرى، كان بولس يعلم بان الله يضع في القلب الإيمان الذي يخلص، مما يقود إلى المعمودية. كتب مجموعة من المعلقين: «الإيمان بعمل الله القدير في إقامة يسوع من الأموات هو الإيمان الذي يخلص (رومية ٤: ٢٤؛ ١٠: ٩)؛ وقد عُمل في الإيمان بعمله القدير نفسه الذي به أقام يسوع من الأموات» (أفسس ١: ١٩ و٢٠).

ولكن الإيمان الذي يضعه الله في قلب {الإنسان} الضال هو فكرة من القوانين الطائفية، وليس من الأسفار المقدسة. يعلم الكتاب المقدس بان الإيمان نتيجة لسماع كلمة الله (يوحنا ١٧: ٢٠؛ ٢٠: ٣٠ و٣١؛ أعمال ١٧: ١١ و١٢؛ رومية ١٠: ١٧).

(٤) هناك وجهة نظر أخرى وهي أن إيمان الشخص الذي يعتمد يوضع في قيامة يسوع بدلاً من أن يكون في أي عمل يعمله الله في

حياة ذلك الشخص. يذكر هذا النوع من التفسير في قليل من الكتب التعليقية جداً.

(٥) وجهة النظر الادق هي أن بولس كان يشير إلى معمودية الماء التي بها يضع الشخص الذي يعتمد إيمانه في عمل الله – العمل نفسه الذي أقام يسوع من الأموات – ليطبق عملياً فوائد موت يسوع وقيامته في حياته. يتفق هذا مع مفهوم النص وهو التفسير المعقول جداً.

قال رالف مارتن:

> معمودية المسيحيين التي توازي الختان الروحي الذي حققه المسيح بالفداء، تتطلب معرفة شخصية وقبول شخصي من جانب الذين يعتمدون. وهذا يعني أن ضرورة الإيمان لا تكون موجهة إلى الشعائر الدينية نفسها بل إلى الله الذي يعمل في «هذا السر المقدس» يأخذ قوة تأثير موت المسيح الخلاصي وقيامته اللذان فيهما مات المؤمنون وأُقيموا ويضعهما في مكان الحياة الإلهية الذي فيه تم الغلبة على الخطيئة (رومية ٦: ٧ ، ٩–١١).

صدق هربرت في تعليقه:

> عمل الله القدير الظاهر في قيامة المسيح هو ما يضع فيه المؤمن ثقته. إذن يكون البرهان كالآتي: لقد قبلوا حقيقة قيامة المسيح. كان هذا هو علامة لاظهار قوة الله، واعتماداً على تلك القوة عرفوا قيامة روحية في الاتحاد مع المسيح.

كتب بيسلي ماراي ما يلي:

> انه من الخطأ تمثيل وظيفة الإيمان على انها مجرد طلب المعمودية التي فيها يصرف الله النظر عن موقف الإنسان أو عن فهم ما يعمله الله عند المعمودية، أو إظهار النية للاستجابة المناسبة بعد المعمودية.

لقد رأى بيسلي ماراي ضرورة وجود إيمان فعال لمن يعتمد. ليس الإيمان المشار إليه هنا هو في الحقيقة أن يسوع أُقيم من الأموات، بل في عمل الله الذي يحدث في حياته في لحظة اعتماده. وقال أيضاً:

> ليس للإيمان وحده قوة تجعل المؤمن يقوم من الموت – بل ينظر إلى الله ليفعل ذلك؛ ولكن حسب هذا التعبير، يعمل الله في قوته المقتدرة ليقوّم الموتى عند المعمودية إستجابة لإيمَان الشخص الذي يعتمد. المعمودية التي فيها يقوّم الله {الشخص} من الموت بمعزل عن الإيمَان الفعال في الله القائم بهذا العمل هو شيء لا يمكن توقعه.

في مجلد تفسير الأسفار المقدسة: الرسالة إلى أهل كولوسي *Commentary of the Holy Scriptures: Colossians*» قال كارل براون:

> إذن يوصف الله بانه: الذي أقامه من الأموات، لأن النتيجة المنطقية هي: هل أقام الله المسيح وهل يمكن أن يأتي بي إلى حياة جديدة أيضاً (قارن أفسس ١: ١٩ و ٢٠)؟ صحيح أنه بمثل هذا الإيمان في «عمل الله» يمكن اختبار هذا.

كتب المعلق وليم باركلي:

> يمكن أن يحدث فقط عندما يؤمن الإنسان بعمل الله الفعال، قوة الله تلك التي أقامت يسوع من الأموات. حينئذ يقتنع بأن القوة التي أتت بيسوع المسيح من خلال الصليب والتي أقامه من الأموات يمكن أن تفعل له الشيء نفسه.

شدد مارڤن ڤينسنت على أن مثل هذا التغيير يحدث «بواسطة إيمان عمل الله»، أي «ليس الإيمان الذي يعمله الله، بل إيمانك في عمل الله ... كما ظهر في قيامة المسيح».

أعطى روبرت براتشر ويوجين نيدا ملخص جيِّد:

> يمكن ترجمة القسم الأوسط {في كولوسي ٢: ١٢ {كالآتي «عندما اعتمدت، جعلك الله تحيا مرة أخرى، كما كان بقوته. وأقامك كما لو كان مع المسيح. يحدث هذا نتيجة لثقتك في قوة الله».

الشخص المستفيد من المعمودية هو الذي يؤمن بان قوة الله التي أعطت حياة لجسد يسوع الميت هي نفسها التي تقيم الشخص الميت في الخطيئة وتعطيه حياة روحية. ليس

هذا إيمان بالمبشر أو بالماء أو بعملية المعمودية بذاتها، ولا حتى بقيامة يسوع – بل هو إيمان بعمل الله الذي أظهر قوته ليعطي حياة (جسدية كانت أم روحية) بإقامة يسوع من الأموات. إذا كان أحد يؤمن بان الله وضع حياة جديدة في جسد يسوع الميت، فأكيد سيكون له أساس راسخ للإيمان بان الله يمكن أن يعطيه حياة روحية عندما يعتمد.

تتوقف فعالية عملية المعمودية على الإيمان بما يفعله الله. بدون مثل هذا الإيمان تكون هذه العملية حبة شعير فارغة لا قيمة لها. المعمودية بحد ذاتها (من غير إيمان وفهم) لا تختن روحياً أو تحي الشخص مع يسوع. لكي نؤمن بعمل الله، لا بد أن نفهم ما يعمله الله أثناء معموديتنا. يزيل الله خطايانا والشهوات الشريرة ويجعلنا أحياء روحياً بسبب إيماننا بما يستطيع أن يفعله وما سيفعله. يحدث هذا فقط عندما نشارك يسوع في دفنه وقيامته. ونحن نفعل هذا (روحياً وجسدياً) عند المعمودية.

ينبغي أن نستخلص أن (١) بولس رأي الإيمان بعمل الله أثناء معموديتنا كأساس لعمل الله وهو يعطي حياة وغفران، (٢) ليس في المعمودية قدرة ذاتية لتأتي بمثل هذا التأثير. المعمودية هي اللحظة التي فيها يعمل الله لأننا نجد في قيامة يسوع دليل كافي لنؤمن أن الله يمكن أن يعمل أيضاً ليقوّمنا إلى حياة روحية جديدة ويغفر خطايانا عندما نُدفن ونُقام مع يسوع في المعمودية.

أعطى الحياة والمغفرة

> وإذ كنتم أمواتاً في الخطايا وغلف جسدكم أحياكم معه مسامحاً لكم بجميع الخطايا (كولوسي ٢: ١٣).

الذين يؤمنون بما يمكن لقوة الله أن تفعل أثناء معموديتهم يحيون. استخدم بولس صورتين ليبين أن مثل هذا التغير يحدث (كولوسي ٢: ١١-١٣).

قال بولس أن أهل كولوسي كانوا قبل المعمودية «غير مختونين» وتسيطر عليهم شهوات الجسد. وصفهم أيضاً بـ«أمواتاً في الخطايا»، أي أموات روحياً وما زالوا ملوثين بالخطيئة. ولكن عند المعمودية حدث تغيير: صاروا مختونين روحياً وذلك بخلع شهواتهم الجسدية وشاركوا أيضاً في قيامة يسوع بالمفهوم الروحي. بسبب إيمانهم بما يمكن أن يعمله الله، لم يبقوا أمواتاً بعد في الخطيئة وتم إحيائهم. الخطيئة التي أدت إلى حالتهم السابقة قد أُزيلت عند المعمودية وصاروا مختونين روحياً وأحياء روحياً. قال بولس مشيراً إلى أهل كولوسي: «وإذ كنتم أمواتاً في الخطايا وغلف جسدكم أحياكم معه مسامحاً لكم بجميع الخطايا» (كولوسي ٢: ١٣).

أعطى روبرتسون هذه الخلاصة المناسبة لرسالة بولس: «أعطى الله الحياة، ويمكنه أن يمنح الحياة لكل النفس والجسد. قدم بولس قوة الله للذين يشكون».

وفي ما بعد علم بولس ما يجب أن يتبع خبرة الدفن مع يسوع والقيامة معه عند المعمودية: «فإن كنتم قد قمتم مع المسيح فاطلبوا ما فوق حيث المسيح جالس عن يمين الله. اهتموا بما فوق لا بما على الأرض. لأنكم قد متم وحياتكم مستترة مع المسيح في الله» (٣: ١-٢).

الخلاصة

لا يكتمل الإيمان بدون المعمودية، والمعمودية بدون إيمان بعمل الله لا تكون سارية المفعول. يعتمد الخلاص على الإيمان الذي يستند على ما يمكن أن يعمله الله لنا إن كنا نريد أن نشارك في دفن يسوع وقيامته. هذا هو الإيمان الذي يقول بانه إذا كانت قوة الله قد أقامت يسوع من الموت، فيمكن لتلك القوة عينها أن تقوّمنا لحياة جديدة. إن كنا قد اختبرنا هذا التغيير مع يسوع، فعلينا أن نغير اتجاه حياتنا من أهداف دنيوية إلى أهداف سماوية.

جميع الحقوق محفوظة ٢٠٠٧